Middle Eastern Culture & Religion Issues
E-ISSN: 2962-2476 | P-ISSN: 2964-0830
Volume 4 No. 1 (2025) Page 98-110

At-Tafsīru al-ʻIlmiyyi fī Miṣra al-Ḥadīṡati
التفسير العلميّ في مصر الحديثة

Eid Abdulaziz[1]
[1]İstanbul Üniversitesi İlahiyat Fakültesi-Turkey
[1]Corresponding author: efethi@bayburt.edu.tr

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف ملامح التفسير العلميّ للقرآن الكريم في مصر الحديثة خلال القرن العشرين، من خلال تحليل أعمال نخبة من المفسّرين المصريين الذين سعوا لربط النصّ القرآني بالمكتشفات العلمية المعاصرة. تتمثّل جدة الدراسة في تقديم إطار تحليلي نوعي يدمج بين النظرية التأويلية والخبرة النصيّة لدى المفسّرين، مما يملأ فراغاً في الدراسات السابقة التي غالبًا ما تناولت الظاهرة بصورة عامة أو سياقية ضيّقة. تعتمد الدراسة على منهج كيفي تأويلي، باستخدام أدوات مثل المقابلة شبه المنظمة وتحليل المحتوى، لفهم الاتجاهات الثلاثة: الرافض، المعتدل، والموسّع تجاه التفسير العلمي. وقد أظهرت النتائج تنوعًا مفاهيميًّا في تعامل العلماء مع الإشارات العلمية في القرآن، وانعكاس ذلك على فهم الإعجاز والمعرفة الدينية. تبرز أهمية هذا البحث في كونه يقدّم مساهمة نظرية جديدة في إعادة بناء نموذج للتفسير العلمي يراعي المعايير النصية والمعرفة المعاصرة، كما يقترح تطبيقات عملية لتفعيل هذا النموذج في البيئات التعليمية والدينية، بما يعزز من قدرة النصّ القرآني على التفاعل مع تحديات العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز، التفسير، التفسير العلمي، القرآن، مصر الحديثة

ABSTRACT

This study investigates the characteristics of scientific interpretation (tafsir ʿilmī) of the Qur'an in modern Egypt during the twentieth century by analyzing the contributions of prominent Egyptian exegetes who sought to correlate the Qur'anic text with contemporary scientific discoveries. The novelty of the research lies in its qualitative analytical framework that integrates hermeneutical theory with exegetical discourse, filling a critical gap left by previous studies that addressed the phenomenon in broad or narrow regional terms. Employing a qualitative interpretive methodology, the research uses semi-structured interviews and content analysis to examine three prevailing positions: rejectionist, moderate, and expansionist attitudes toward scientific exegesis. The findings reveal significant conceptual diversity among scholars in interpreting scientific references in the Qur'an, reflecting broader implications for the notion of miracle (iʿjāz) and religious epistemology. The study makes a substantial theoretical contribution by proposing a reconstructed model of scientific tafsir that harmonizes textual integrity with modern knowledge, and it outlines practical applications for educational and religious contexts. Ultimately, this work enhances the Qur'an's relevance in addressing contemporary scientific and philosophical challenges,

affirming its dynamic capacity for engagement beyond traditional interpretive paradigms.

Keywords: *Egypt, I'jāz, Qur'an, Scientific Interpretation, Tafsir.*

Article History: Submitted: 13 December 2024 | Accepted: 31 July 2025 | Available Online: 31 July 2025

المقدمة

تتفاقم في مصر الحديثة، مع تسارع التقدّم العلمي، مناظراتُ «التفسير العلمي» بين مسعى المواءمة والتحفّظ، بما ينعكس تعليمياً ومجتمعياً على فهم الوحي وموقعه في المجال العام (قهرمان، ٢٠٢٠). وتبرزُ علمياً الحاجةُ العاجلة إلى أطرٍ تأويليةٍ إنسانيةٍ وسياقيةٍ تزاوج بين المقاصد والنظرية والمعطيات التجريبية، وتطبيقياً إلى سياسات تعليمٍ ديني ومحوِ أمّية علمية تكبح الإسقاطات الاعتباطية على النص (علّاك، ٢٠٢٣). فمثلاً تُظهرُ قراءةٌ براغماتية للدلالات الضمنية في الخطاب القرآني كيف تُوجِّه المعنى في التواصل العام وتحدِّد رهانات التفسير في البيئات المعاصرة (زكريا وآخرون، ٢٠٢٤). كما تكشفُ إشكالاتُ «عدم قابلية الترجمة» عن تعثّر نقل الدلالة عبر اللغات وما يستتبعه من توتّرات معرفية، وتبرزُ اجتهاداتُ التفسير النسوي وقضايا السلطة في «أولي الأمر» دينامية التأويل والمشروعية (سري، ٢٠٢١؛ ودود، ٢٠٢١؛ الطراونة، ٢٠٢٥)وعليه، فإن بحثَنا شديدُ الصلة والضرورة لضبط منهجٍ توافقي يوجّه التفسير العلمي ويخدمُ دراسات الثقافة وسياسات صون التقاليد المحلية دون تفريطٍ بالمعيارية النصيّة ولا بالمعرفة التجريبية (سعيد وأكبر، ٢٠٢١).

وتتجلّى أهمية هذا البحث في سعيه إلى استقصاء الاتجاهات التفسيرية الحديثة في مصر، لا سيّما تلك التي تناولت التفسير العلمي للقرآن الكريم ووجوه إعجازه العلمي، وذلك من خلال دراسة متأنّية لمجموعة من العلماء والمفكرين المصريين المعاصرين الذين أسهموا بشكل بارز في بلورة هذا الاتجاه، مثل: محمد توفيق صدقي، الذي يُعدّ من أوائل من نادوا بمواءمة التفسير القرآني مع معطيات العلم الحديث؛ وأحمد زكي، الذي حاول استكشاف العلاقة بين النص القرآني والاكتشافات العلمية؛ ورشيد رضا، الذي دافع عن التفسير العقلي والعلمي في مجلته المنار؛ وأحمد مختار الغزي، الذي سعى إلى تأصيل رؤية متوازنة بين الثابت الديني والمتحول العلمي؛ وطنطاوي جوهري، الذي أفرد مجلدات مطوّلة للحديث عن الإعجاز العلمي في ضوء معارف عصره؛ وكذلك حنفي أحمد، ومصطفى محمود، وزغلول النجار، الذين تنوّعت مقارباتهم بين الخطاب الدعوي والإعجازي والعلمي.

ولا يقف هذا البحث عند حدود رصد الجهود المؤيدة لهذا الاتجاه فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تحليل المواقف النقدية الرافضة للتفسير العلمي، مستقصيًا أصولها الفكرية واللاهوتية، ودوافعها المنهجية والمعرفية، التي كثيرًا ما تستند إلى التخوّف من إسقاط المعطيات العلمية المتغيّرة على النصّ المقدّس الثابت، مما قد يؤدي في نظرهم ـ إلى ربط معاني القرآن باكتشافات قابلة للنقض أو التبديل. فبعض العلماء التقليديين يرون أنّ .

هذا النوع من التفسير يُحمّل القرآن الكريم ما لا يحتمله من المعاني، ويتضمّن نوعًا من التكلف والتأويل البعيد الذي قد يُخرج النص من سياقه البلاغي والتشريعي إلى سياقات لا تدلّ عليها ألفاظه ولا تُحتملها أساليبه. ومن جهة أخرى، ينتقد بعض المفكرين المتخصصين في العلوم الطبيعية هذا الاتجاه لكونه ـ بحسب رأيهم ـ يُقحم النصوص الدينية في فضاء العلم التجريبي القائم على الفرضيات والنظريات القابلة للتعديل أو الإلغاء، مما قد يُفقد القرآن هيبته وقدسيته إذا ما ارتبطت دلالاته بما هو نسبي ومؤقت.

وبناءً على ذلك، يسعى البحث إلى الوقوف عند هذه الإشكالية المركزية، وهي: إلى أيّ مدى يمكن للعلم الحديث أن يكون أداة لفهم النص القرآني، دون الوقوع في فخ الإسقاط أو التحريف؟ وهل يُمكن صياغة منهج تفسيري علمي منضبط يراعي قواعد اللغة وأصول التفسير، وفي الوقت نفسه يُنير العقول ويحفّز الفكر الإسلامي على التفاعل الإيجابي مع تطورات المعرفة الإنسانية؟ هذه التساؤلات تُعدّ من صميم هذا البحث، الذي يهدف إلى تقديم رؤية متوازنة نقدية بين الاتجاهين، وفتح أفق حوار معرفي يجمع بين الإيمان الراسخ بوحي السماء، والانفتاح الواعي على منجزات العقل البشري.

تُظهرُ الدراساتُ السابقة أنّ «التفسير» يُفهم نشاطاً هرمنيوطيقياً يوازنُ بين اللغة والعقل والتاريخ، عبر تعريفات تُبرز طرائق الاستدلال وسياقاتها، كما في تحقيق نصٍّ تفسيريّ نموذجِيٍّ ومباحث الإرث النظري والقراءة الشهودية والنفسية للتأويل (أراس، ٢٠٢٣؛ توما نيان، ٢٠٢٠؛ يوجيل، ٢٠٢١؛ أوزاكتان، ٢٠٢٢). ووفقاً للبحث، تتبدّى «تقليدات العقل» وتاريخ التعليم العثماني/المملوكي وبنَى تصنيف العلوم محدِّداتٍ مفهومية، بينما تُعيدُ مناقشاتُ «القرآن والعلم» وتمثّلاتُ الاستشراق في أوروبا الشرقية تشكيل أفق التعريف (ذو الكفل، ٢٠٢٣؛ كايا، ٢٠٢٠؛ حرياني، ٢٠٢٣؛ دانشغر، ٢٠٢٣؛ دريرا، ٢٠٢٥).

وتشيرُ البحوثُ السابقة إلى طيفٍ واسع من المتغيرات: تفسيرٍ سياسيٍّ ومقاصديٍّ، فقهٍ للحرب، تأويلٍ علميٍّ لحركات الأفلاك، قراءاتٍ شيعيةٍ للتطور، ترجماتٍ متأخرة، بلاغةِ المجاز والكناية، أساليبَ لغوية، وإصلاحيةِ ابن عاشور؛ وتُجسِّدُها أيضاً حالاتٌ تطبيقية في أخلاق الحرب ولاهوتِ التحرير بوصفها مؤشراتٍ عملية على تنوّع النوع والوظيفة (أراس وصولحين، ٢٠٢٢). هذا التنوع يعكس جدلاً علمياً متصاعداً يؤكد أهمية التفسير بوصفه إطاراً معرفياً حيوياً لفهم النص القرآني في ضوء التحولات الفكرية والاجتماعية.

وتُظهرُ الدراسات السابقة أنّ مفهوميّة الإعجاز القرآني قد تطوّرت من مجرّد كونه تحدّيًا بلاغيًّا إلى كونه بنية معرفية متعددة الطبقات، تجمع بين الأبعاد البيانية، المقاصدية، والكونية. فبحسب دراسة تومانْيان (٢٠٢٠)، فإنّ الإعجاز يرتبط بالوظيفة السلطوية للنصّ في التأسيس السياسي والاجتماعي، بينما يرى أوزاكتان، (٢٠٢٢) إمكانية توظيف الهيرمينوطيقا النفسية لفهم أعمق لدلالاته. كما يُبرز يوجل (٢٠٢١) البعد الشهودي للإعجاز بوصفه تجربة إيمانية تتجاوز النص. ويرى شيرافاند ورازي) ٢٠٢١(أن القيم الأخلاقية الكونية جزء من الخطاب الإعجازي. وقد أشار دريرا (٢٠٢٥) إلى دور الاستشراق الشرقي الأوروبي في

تشكيل فهم حداثي للإعجاز قائم على التفسير العلمي. تشير هذه المداخلات إلى ضرورة إعادة تأطير الإعجاز بوصفه ظاهرة تأويلية جامعة تتقاطع فيها السياقات اللغوية والمعرفية والاجتماعية.

وبالاستناد إلى هذا التأطير المفاهيمي، تُظهرُ الدراسات أيضًا تباين الأبعاد الشكلية والمضمونية للإعجاز من حيث المتغيرات التفسيرية والمؤشرات البلاغية. فقد بيّن إمبونغ وزملاؤه (٢٠٢٢) كيف يُعدّ التفسير الفقهي نموذجًا يعكس الإعجاز التشريعي للنصّ، بينما توضح حرياني (٢٠٢٣) تصنيفات العلوم العثمانية كمدخل لفهم منهجي للإعجاز. ويشير كايا (٢٠٢٠) إلى ارتباط الإعجاز بأساليب التعليم التفسيري في العصر المملوكي. أما فضل أوغلو فضل أوغلو (٢٠٢٠) فناقش الأبعاد البلاغية للإعجاز من خلال المجاز والكناية، فيما أظهرت فيكريات وفوائد،)٢٠٢٢(أهمية البعد الإنساني في التفسير الأخلاقي للقرآن. ومن منظور فلكي–فقهي، قدّمت هيبا الرحمن وزملاؤه (٢٠٢٤) تفسيرات لحركة الأفلاك كدليل على الإعجاز العلمي. كما تشير دراسة أراس (٢٠٢٣) إلى إعجاز العدل والإحسان في التفسير الشربيني، بينما تُظهر قراءة شوليمَن وآخرين (٢٠٢٤) فكر الإصلاح بوصفه بُعدًا دلاليًا معاصرًا للإعجاز. وأخيرًا، تناقش دراسة زلفحمي وزملاؤه (٢٠٢٤) الإعجاز التحرّري في لاهوت بلال بن رباح. إنّ هذا التنوع يُبرز كيف بات الإعجاز بنية تفسيرية شاملة تستوجب قراءة نسقية متعددة المستويات.

أما بحثنا فقد رأيت أن أتناول بالدراسة المفسرين المصريين فقط دون غيرهم نظرًا لكون الباحث مصريّ الجنسية، ولكونه يريد أن يكون البحث يخصّ مكانًا معينًا ليكون أكثر خصوصية، أما هذه الأبحاث والمقالات فقد تناولت التفسير العلمي بشكل عام، ولم تركز على عالم بعينه، ولا مكانٍ بذاته، وكانت أكثر حديثًا عن العلماء القدماء منهم، وبخاصة في بعض الجوانب النظرية، كما تناولت بعض القضايا العلمية التي تناولها المحدثون في مؤلفاتهم في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة، حيث تناولت آراء العلماء المحدثين وأقوالهم ورؤيتهم المختلفة حول بعض الآيات القرآنية بشكل أكثر تفصيلًا وتقسيمًا.

منهجية البحث

يُعدّ هذا البحث من نوع الدراسات الكيفيّة (النوعية)، التي تُعنى بفهم الظواهر في سياقها الطبيعي عبر التحليل التفسيري للنصوص والمضامين، وقد وقع اختيار هذا النوع على اعتبار أنّ موضوع "التفسير العلمي للقرآن الكريم في مصر الحديثة" يرتبط بأطر تأويليّة وسياقات معرفيّة لا يمكن سبرها عبر منهج تجريبي صرف. وتكمن ميزة هذا المنهج في قدرته على تتبّع التكوين التاريخي للخطاب التفسيري، والكشف عن التحولات المفهوميّة والمعرفيّة التي أسهمت في بلورة مقاربات علميّة جديدة في فهم النص القرآني، على خلاف المناهج الكمية التي تفتقر إلى القدرة على تحليل المعنى المتعدد والديناميكي. وقد تناول السؤال البحثي الأول تحليلًا تفصيليًا لنتاجات المفسرين المصريين المحدثين من حيث أساليبهم ومرجعياتهم العلمية ومواقفهم من التفسير

العلمي، ضمن إطار نقدي يبرز العلاقات بين النص والتراث والعلم. أما السؤال الثاني فقد انصبّ على دراسة اتجاهات الرافضين والمعتدلين والموسّعين في التعامل مع الإشارات العلمية في القرآن الكريم، وأدلتهم، ومواقفهم من الإعجاز، ما يسمح بفهم متوازن لتعدديّة المواقف داخل الحقل التفسيري المعاصر. ومن ثم، فإن اختيار المنهج الكيفي يحقق الغرض العلمي للبحث، لما يوفره من أدوات تحليلية مرنة لفهم أبعاد الخطاب التفسيري وتحوّلاته، ضمن فضاء فكريّ وثقافيّ متشابك.

شملت هذه الدراسة نُخبةً من المفسرين المصريين في القرن العشرين، ممّن عُرفوا بإسهاماتهم البارزة في مجال التفسير العلمي للقرآن الكريم، دون التوسّع إلى علماء سائر البلدان الإسلامية. ويعود سبب الاقتصار على هؤلاء إلى رغبة الباحث في تحقيق خصوصية جغرافية وثقافية للبحث، تتّسق مع خلفيته المعرفية بوصفه مصريًّا، وتُتيح تحليلًا أعمق لبيئة فكرية واحدة. ويتميّز هذا الجيل من العلماء بكونهم عاشوا في سياق زمني شهد طفرات علمية غير مسبوقة، ما جعلهم يعيدون قراءة النص القرآني بعيون معاصرة، ويبحثون عن وجوه الإعجاز العلمي فيه، كما هو جليٌّ في أعمال طنطاوي جوهري، وزغلول النجار، ومصطفى محمود. أما الطابع الخاص لهذه العيّنة، فيكمن في تنوّع تخصّصاتهم المعرفية بين العلوم التطبيقية والدينية، وتوزّع جهودهم بين كتب التفسير، والمقالات العلمية، والمشاريع الثقافية الهادفة إلى مواءمة الوحي مع منجزات الحداثة. وبهذا، يُعدّ هؤلاء العلماء مادّةً علميّة غنيّة تُمثّل جسراً تأويليًّا بين النص القرآني والمكتشفات العلمية الحديثة، وتُشكّل مجالًا مناسبًا لاستقصاء منهجية التفسير العلمي ومحدداته المعرفية.

تُعَدّ المقابلة العلميّة (المقابلة شبه المنظمة) الأداة الأنسب لجمع البيانات في هذا البحث؛ وذلك لتعلّق موضوعه بفهم التفسير العلمي للقرآن لدى المفسّرين المصريين وتتبّع مساراتهم الفكرية في مؤلّفاتهم. فالمقابلة في هذا السياق تُعَرّف بأنها وسيلة نوعية تُمكِّن الباحث من استنطاق التجربة التفسيرية للمبحوث، عبر أسئلة مفتوحة تتيح له التعبير الحر عن دوافعه ومواقفه التأويليّة. وقد استُخدم النموذج الأول من هذه الأداة لاستقراء مضامين كتب طنطاوي جوهري وتحديد كيفيّة ربطه بين الآيات الكونية والمعارف الفيزيائية الحديثة، بوصفه أول من شيّد نسقًا تفسيرياً علميًا متكاملاً. بينما اعتمد النموذج الثاني منها في تحليل كتابات مصطفى محمود بهدف الوقوف على المنهج الإشاري الرمزي الذي اتبعه في تأويل الظواهر الكونية وربطها بالمكتشفات المعاصرة، ممّا يعكس فهماً دقيقاً للتطور العلمي بوصفه إطارًا لفهم النصّ القرآني.

تمّ تحليلُ البيانات اعتمادًا على التصنيف الموضوعي للمعطيات التفسيرية، من خلال رصد القضايا الكبرى في نصوص التفسير العلمي، ثم إعادة تنظيمها وفق تمحورات دلالية تسهم في الكشف عن نماذج التأويل المعاصر في مصر. ويُعدُّ هذا الأسلوب مناسبًا للبحث؛ نظرًا لطبيعة الظاهرة المدروسة التي تقوم على تداخل المفاهيم العلمية مع البنية الدينية للنصّ القرآني، مما يستدعي أداة تحليل تتجاوز القراءة الخطية للنصوص نحو تأطير أنماط المعنى في ضوء الواقع الثقافي. وقد استُخدم في النموذج التحليلي الأول ثلاث تقنيات: إعادة

صياغة البيانات عبر تسلسل الأفكار المركزية، والوصف الكيفي لطبيعة الخطاب، ثم التأويل النقدي في ضوء الخلفية المعرفية للمفسِّر؛ كما طُبِّقت هذه التقنيات على نماذج من تفاسير طنطاوي جوهري، ومصطفى محمود، والنجار. أمّا النموذج الثاني، فقد اعتمد على تحليل محتوى المقابلات النصية الواردة في مؤلفاتهم، بوصفها أدوات توثيق غير مباشرة تجيب على سؤال البحث الثاني المتعلّق بأنماط تبريرهم للعلاقة بين القرآن والعلم.

النتائج

يسعى المفسرون في الاتجاه العلمي إلى فهم النصّ القرآني في ضوء المكتشفات الحديثة للعلوم الطبيعية، كالفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا، والطب، والفلك، وغيرها من الحقول المعرفية المعاصرة. ويقوم هذا التفسير على فرضية أنّ القرآن الكريم يحوي إشارات ضمنية أو صريحة إلى حقائق كونية لم تكن معلومة للبشر عند نزول الوحي، وأنّ التقدم العلمي الحديث يمكن أن يُسهم في كشف أبعاد جديدة في معاني تلك الآيات. ويهدف هذا المنهج إلى إبراز وجوه الإعجاز العلمي والمعرفي في القرآن، وذلك باستناد التفسير إلى قوانين الخلق والتكوين والنظام الكوني، بوصفها سننًا إلهية قابلة للملاحظة والتحليل. وتُعزى نشأة هذا الاتجاه إلى تحولات معرفية كبرى شهدها العالم الإسلامي، خصوصًا بعد هيمنة النموذج العلمي الغربي على مختلف أنماط التفكير وتفسير الظواهر، مما فرض تحديًا حضاريًّا استدعى إعادة قراءة النصّ القرآني من زوايا علمية (دانشغر، ٢٠٢٣). وقد كشفت دراسات مقارنة بين مراكز التفسير في إفريقيا وآسيا عن تفاوت في مدى تقبّل هذا الاتجاه، حيث يُنظر إليه في بعض السياقات بوصفه مدخلًا حداثيًّا يعزّز صلاحية النصّ القرآني لكل زمان ومكان، فيما يرفضه آخرون رفضًا قاطعًا بحجّة أنّه تحميل للقرآن ما لا يحتمل من معاني ومضامين خارجة عن مقاصده. وفي المقابل، يبرز تيار ثالث يدعو إلى قراءة وسطية، تُوازن بين قداسة النص وثوابت التفسير من جهة، وبين مكتسبات المعرفة الحديثة وأدواتها التفسيرية من جهة أخرى، انطلاقًا من مقاربة منهجية نقدية تراعي السياقين الزماني واللغوي للآيات، وتحتكم إلى أصول التأويل الرصين دون الوقوع في الإسقاط أو التلفيق.

يرى الرافضون للتفسير العلمي أن إدماج المعارف العلمية في تفسير القرآن قد يفضي إلى تحميل النصوص ما لا تحتمل، كما أن العلوم بطبيعتها تتغير وتتبدل، بينما النصّ القرآني ثابت محفوظ (أوزاكتان، ٢٠٢٢). ويُضاف إلى ذلك، كما يشير دريرا (٢٠٢٥)، أن هذا النمط من التفسير قد وقع —في بعض مراحله التاريخية— تحت تأثيرات استشراقية أو رواسب معرفية خارجية مثل الإسرائيليات، مما أثار الشكوك حول أصالة المرجعية. ومن جهة أخرى، يرى شيرافاند ورازي (٢٠٢١) أن القرآن ليس معنيًّا بالبحث في التجربة الحسية أو الظواهر المادية، بل يتوجه إلى بناء الروح والضمير، ويعالج قضايا الغيب والهداية لا الكيمياء

والفيزياء. وتدعم هذه الرؤية أيضًا مناقشات يوجيل (٢٠٢١) التي أكدت على أنّ القراءة الإعجازية العلمية قد تتجاهل البنية اللغوية والسياقية للخطاب القرآني لصالح فرضيات علمية معاصرة.

في المقابل، يشير أصحاب الموقف المعتدل إلى أنّ التفسير العلمي، إذا التزم بالحقائق القطعية غير القابلة للنقض، فإنّه يُمكن أن يكون أداة لإثراء الفهم القرآني وإظهار أوجه الإعجاز البياني والعلمي، كما أوضح ذلك سليمان وآخرون (٢٠٢٤). ويبرر هذا الاتجاه، كما بيّن ذلك آراس وسوليهين (٢٠٢٢)، أن مقاصد القرآن تشمل تحفيز الإنسان على النظر العقلي، والتأمل في الآيات الكونية، مما يقتضي انفتاحًا على المعارف الحديثة دون الإخلال بثوابت النص. ويؤكد ذلك ذو الكفل (٢٠٢٣) في تحليله لتنوع مدارس التفسير العقلي، بأنّ الجمع بين النقل والعقل يُعَدُّ من خصائص التراث الإسلامي في التعامل مع النص. وفي السياق ذاته، يُشير فكريات وفوائد (٢٠٢٢) إلى أنّ إشارات القرآن إلى خلق الإنسان من علَق مثلًا، لم تُفهم بشكل علمي إلا بعد تطور أدوات المجهر الحديث، وهو ما يمثل بُعدًا إعجازيًّا في الإيجاز والدلالة العلمية.

أما أنصار الاتجاه التوسيعي فيرون أن القرآن الكريم يتضمّن إشارات إجمالية إلى مختلف ميادين المعرفة الكونية، ما يستدعي إعادة قراءته في ضوء مكتسبات الحضارة المعاصرة، دون الخلط بين التنزيل والتجريب، كما وضّح ذلك حبيبة حرياني (٢٠٢٣) في دراستها عن الفكر العثماني في تصنيف العلوم. ويؤكد زلفحمي وجينتينغ وديسكي (٢٠٢٤) أن التفسير الموسّع للآيات الكونية يعزز من فاعلية النص القرآني في توجيه الأمة للنهضة العلمية، لا سيما في ظل تراجع دور العلم في بعض السياقات الإسلامية. وقد أشار فزلي أوغلو (٢٠٢٠) إلى أن محاولة فهم الإعجاز العلمي، وإنْ كانت لاحقة من حيث التطور التاريخي، فإنها تعود إلى حسّ لغوي واستقرائي كان ماثلًا في أذهان المفسّرين الأوائل. كما ذهب كايا (٢٠٢٠) إلى أن التعليم التفسيري في العصر المملوكي نفسه لم يكن معزولًا عن الاهتمام بالعلوم الطبيعية، بل تداخل معها بوصفها أدوات لفهم الكون ضمن الرؤية الإيمانية الشاملة. ويذهب كوشندا (٢٠٢٢) إلى أنّ توسعة دائرة القراءة التفسيرية لا يُناقض العقيدة بل يوسّع من قدرتها على تلبية التحديات المعرفية الجديدة.

ولا يُمكن إغفال الجهود التأويلية للعلماء القدامى في محاولتهم الربط بين إشارات النصّ ومشاهد الكون، مثل محاولات الغزالي والرازي والمرسي والبيضاوي وغيرهم، الذين فسّروا بعض الآيات تفسيرًا عقلانيًّا قائمًا على البيان البلاغي والمقارنة الفلسفية. وقد ناقش طالا (٢٠٢٠) في دراسته عن المساهمات النحوية لكافيججي مدى تداخل أدوات علم اللغة مع محاولات الفهم العلمي في السياق العربي الكلاسيكي. كما توضح كولونك أوغلو (٢٠٢٢) كيف أنّ ترجمة كتب التفسير إلى لغات محلية في أواخر العصر العثماني ساهمت في إعادة صياغة العلاقة بين النص القرآني والعلم الحديث وفقًا لخصوصيات ثقافية وتربوية معيّنة.

المناقشة

بالنظر في نتائج التحليل الشامل، يتّضح أن الفرضيّات الأولى والثانية قد تحققت بدقة من خلال جميع بُنى البيانات المتعلقة بخلق الإنسان، والحيوان، والسماوات، والأرض، بما يعكس تكامل النصّ القرآني مع المعارف العلمية المعاصرة. وينبع هذا من ترابط المعاني القرآنيّة مع الظواهر الكونية وارتباطها بعناصر بيولوجية وجيولوجية وفلكية، تمّ تحليلها نصّياً وتأويليًا. فقد أظهرت البيانات تفاصيل خلق الإنسان ونشأته وتدرجه في مراحل الحياة والعقل والعلم، كما أكدت دلالة الآيات المتعلقة بالكون على مفاهيم حديثة في الفيزياء والفلك، كالتوسع الكوني وبداية الخلق من الدخان.

تُظهِر نتائج الدراسة بصورة جلية أنّ موضوعات خلق الإنسان والحيوان والسماوات لم تأتِ في القرآن الكريم بمعزل عن التفسير الموضوعي، بل جاءت مندمجة ضمن رؤية شمولية تتجاوز التناول التجزيئي للنصوص. فآيات الخلق، بما تحمله من دلالات كونية وإنسانية، لم تقتصر على وصف الظواهر الطبيعية بوصفها معطيات مادية، وإنما نُسِجت ضمن إطار تأويلي يُبرز العلاقة الجدلية بين الطبيعة والثقافة، والوجود والوحي. ويُشير هذا الاندماج إلى أهمية الانفتاح على المعارف الحديثة—كعلوم الأحياء والفلك والأنثروبولوجيا—بهدف تفكيك الرموز القرآنية دون المساس بثوابتها العقدية. ويُعدّ هذا التوظيف المعرفي أداة فاعلة لتعزيز راهنية النص القرآني وإثبات قدرته على مواكبة التحولات المعرفية والفكرية المعاصرة. ومن اللافت أنّ هذا النمط من التفسير الموضوعي يشهد انتشارًا ملحوظًا في أوساط أكاديمية ودعوية متنوّعة داخل العالم الإسلامي، ما يدلّ على قابليته العالية لتجديد أدوات القراءة، وصلاحيته لأن يكون مدخلًا فعالًا في إعادة بناء التصور القرآني للكون والحياة والإنسان بما يتوافق مع تحديات العصر.

تكشف عملية التفسير التحليلي للقرآن الكريم عن آلية دقيقة يتحوّل فيها النصّ من معطيات لغوية إلى مدركات معرفية حيّة تتجاوز ظاهر اللفظ إلى أعماق الدلالة. فحين تُقرأ الآيات الكريمة قراءة تأويلية منهجية، تتجلّى فيها أبعاد علمية وكونية واجتماعية تعكس التفاعل بين النص والوَعْي القارئ، وتُسهم في تفعيل طاقات النص الكامنة. إن الجمع بين إعادة صياغة المعاني القرآنية، والوصف الكيفي للظواهر، والتأويل النقدي القائم على أسس معرفية رصينة، يمنح القارئ أفقًا أوسع لفهم النصّ في سياقه الزماني والمكاني، مع إبراز طابعه الإعجازي المتجدد. ومن الأمثلة البارزة على ذلك تأويل خلق الإنسان من "علَق"، حيث فُسّر بوصفه مرحلة جنينية تشير إلى تطور الخلق البشري في ضوء العلم الحديث، وربطُ ذلك بذكر "القلم" بما يحمله من دلالات على التعلُّم والتوثيق، يعكس مسار التدرج المعرفي الذي يُميز الإنسان عن سائر الكائنات. كما تمّ تأويل الآيات المتعلّقة بخلق السماوات والأرض بما يتقاطع مع النظريات الكونية المعاصرة، مثل الانفجار العظيم، في انسجام مذهل يُظهر تكامل النص القرآني مع الاكتشافات العلمية دون أن يُفقده خصوصيته الروحية واللغوية، مما يُرسّخ فكرة أن القرآن ليس كتابًا جامدًا، بل خطابٌ مفتوح على إمكانات التأويل

المتجدد في ضوء تطوّر المعرفة الإنسانية.

تحمل هذه النتائج أثرًا بالغًا على العلاقة بين الدين والعلم، إذ يمكن اعتبار القرآن جسرًا معرفيًا عالميًا بين الحقول العلمية والروحية. فالتفسير العلمي الرصين يفتح أفقًا واسعًا أمام تطوير خطاب ديني علمي قادر على الحوار مع العصر، دون أن يتخلى عن خصوصيته ومصدره الرباني. من خلال هذا المنهج، يتحوّل النص القرآني من إطار تعبّدي صرف إلى مرجع حضاري ينتج معرفة قابلة للحوار والتقاطع مع أنظمة العلم الحديثة، ما يعزز من فاعليته في التفاعل مع قضايا الإنسان والكون والحياة.

تتميّز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة بخصوص تفسير النصّ القرآني في بُعديه الكوني والإنساني، من حيث المنهج والمضمون معًا؛ إذ لم تقتصر على العرض الجزئي أو التجزيئي لبعض الآيات ذات الطابع العلمي، كما هو الحال في العديد من البحوث التقليدية، بل اعتمدت مقاربة شمولية جمعت بين أدوات التفسير الموضوعي وآليات التحليل العلمي المتعدّد التخصصات. وقد تمّ توظيف معطيات معاصرة من ميادين علمية متنوعة، مثل علم الأحياء، والفلك، والفيزياء، والجيولوجيا، لبيان انسجام المعاني القرآنية مع سنن الكون وقوانين الطبيعة، دون الوقوع في فخّ الإسقاط أو التكلّف. وعلى خلاف دراسات سابقة اكتفت بتفسير الظواهر ضمن نطاق معرفي محدود، فإن هذه الدراسة تطرح رؤية تفسيرية جديدة تُبرز تكامل الوحي مع العلم، وتُعيد قراءة موضوعات كخلق الإنسان، ونشأة الكون، والبيئة الكونية، في ضوء تفسيري تحليلي رصين يربط بين البعد الإيماني والأسس العلمية. كما لم تكتفِ بجمع الآراء التفسيرية أو تصنيفها، بل سعت إلى إعادة تركيبها في سياق معرفي نقدي يُراعي تطوّر مناهج التفسير والعلوم المعاصرة على حدّ سواء. ومن ثمّ، فإن هذا البحث يُعدُّ إسهامًا علميًّا أصيلاً في تطوير مسار التفسير العلمي المعاصر، وتعزيز مكانة القرآن الكريم باعتباره مصدرًا معرفيًّا متجددًا لفهم الوجود والإنسان ضمن رؤية توحيدية متكاملة، تجمع بين الإيمان والعقل، وتنفتح على العلوم الحديثة دون التفريط في مقاصد النصّ وأصول التأويل.

وأمام هذا الإنجاز التحليلي، تبرز الحاجة إلى خطوات عملية لتعزيز العلاقة بين التفسير العلمي والبحث المعرفي. من ذلك: تشكيل فرق بحثية مشتركة بين علماء التفسير وعلماء الطبيعة، لإجراء مقارنات علمية ونصّية في قضايا الخلق الكوني. كما يمكن تطوير منصات تعليمية رقمية تربط بين الآيات ومجالات المعرفة الحديثة بشكل تفاعلي، فضلاً عن عقد ورش دولية تجمع باحثين من تخصصات متعددة، لتبادل الرؤى المنهجية حول إمكانيات التفسير العلمي. هذه الإجراءات من شأنها ترسيخ بنية معرفية متوازنة، تجعل من التفسير العلمي أداة لتجديد التفكير الإسلامي في ضوء مستجدات العلم.

الخلاصة

تُبيّن هذه الدراسة أنّ التفسير العلمي للقرآن الكريم يمثّل مدخلًا تأويليًا معاصرًا يتيح استيعاب المعاني القرآنية في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة. وتنبع أهمية هذا المدخل من قدرته على تعزيز الصلة بين الخطاب الديني والمعرفة الكونية في عالمٍ تتزايد فيه هيمنة المنهج العلمي. فقد كشفت النتائج عن محاولات تأويلية جادة من قبل المفسرين المصريين المعاصرين، كطنطاوي جوهري ومصطفى محمود وزغلول النجار، لربط الظواهر الكونية بآيات قرآنية تُشير إلى الخلق والنظام والكون، مما يعكس اندماج النص مع التحولات المعرفية الحديثة. كما برز اتجاه الرافضين والمؤيدين والمعتدلين في التعامل مع هذه الظاهرة، حيث وُثّقت رؤى نقدية تُفصِّل مواضع التداخل والتعارض بين النص الثابت والعلم المتحوّل. وقد أظهرت الدراسة أنّ جميع عناصر الأسئلة البحثية تنسجم مع الفرضيات المطروحة؛ إذ اتضح الترابط البنيوي بين الخطاب القرآني والمفاهيم العلمية على نحوٍ يُثبت إمكانية بناء منهج تفسيري علمي منضبط.

وتُقدّم هذه الدراسة إسهامًا نظريًا معتبرًا في تطوير نظرية التفسير المعاصر، من خلال توسيع نموذج "التفسير العلمي" ليُصبح إطارًا معرفيًا متعدّد الأبعاد يجمع بين المقاصدية والكونية والبيانية. ويكمن وجه التقدّم الذي تُقدّمه الدراسة في توظيف نموذج تحليلي كيفي يمكّن من استيعاب تداخل النصوص مع السياقات الثقافية والعلمية، بما يُسهم في بلورة نظرية تفسيرية تتجاوز القراءات التبجيلية السكونية. وقد برز ذلك في تحليل خطاب طنطاوي جوهري الذي يُعدّ رائدًا في دمج الفيزياء الكونية مع التفسير، وفي خطاب مصطفى محمود الذي قدّم نموذجًا رمزيًا تربط فيه الآيات بمفاهيم عقلانية معاصرة، وكذلك خطاب زغلول النجار الذي حاول تفسير نشأة الكون وتوسّعه من منظور علمي قرآني. كلّ هذه النماذج تؤكد أنّ التفسير العلمي ليس مجرد ترف فكري، بل بُنية تأويلية قادرة على التفاعل البنّاء مع العلوم الحديثة دون المساس بمصداقية النص.

ومع ذلك، فإنّ هذه الدراسة لم تخلُ من حدودٍ منهجية تفتح آفاقًا مستقبلية للبحث. وتتمثّل أبرز هذه الحدود في اقتصار التحليل على نموذج مصري دون التوسّع في نماذج أقاليمية أخرى، مما يُحدّ من قابلية التعميم. ويُضاف إلى ذلك أنّ التركيز على البعد المفاهيمي قد حال دون استقصاء أثر التفسير العلمي في المتلقّي العام أو في السياسات التعليمية الرسمية. وقد ظهرت هذه المحدودية في غياب تحليل لردود الأفعال الاجتماعية والدينية المصاحبة لهذا الاتجاه، وكذلك في عدم دراسة العلاقات البينية بين التأويل العلمي والمؤسسات الدينية الرسمية. لكنّ هذه الحدود تفتح المجال لدراسات لاحقة تُعنى بتقويم أثر هذا النوع من التفسير في الخطاب العام، وتتقصّى تحوّلاته في السياقات المختلفة، مما يتيح إعادة بناء "نموذج تفسير علمي عالمي" ينطلق من النص ويتفاعل مع تحدّيات المعرفة والإنسان.

المراجع

زكريا، محمد زين، خير الدين، محمد نصر، عيسى، عبد العزيز محمد، ماجد، محمد عبد الله، سوپاريا، فوزية عبد الله، رفي، محمد صفري. (٢٠٢٤). الدلالات الضمنية في القرآن الكريم: منظور تداولي. *نظرية وتطبيق في دراسات اللغة*, ١٤(١١), ٣٥٤٦–٣٥٥٦. https://doi.org/10.17507/tpls.1411.23

زلفحمي، جينتينغ، ليديا ديانا، ديسكي، أدي ف. (٢٠٢٤). نظرة إلى نضال الإسلام من أجل تحرير الأمة: منظور لاهوت التحرير عند بلال بن رباح. *فارس مجلة اللاهوت*, ١٠٥(٥). https://doi.org/10.46222/pharosjot.105.522

سعيد، عبد الله، وأكبر، أكرم. (٢٠٢١). المناهج السياقية وتفسير القرآن. *الأديان*, ١٢(٧), ٥٢٧. https://doi.org/10.3390/rel12070527

سيري، محمد. (٢٠٢١). من هم أولو الأمر؟ التفسير الإسلامي المبكر للقرآن الكريم عن أُولي الأمر. *الأديان*, ١٢(٧), ٤٨٣ https://doi.org/10.3390/rel12070483 .

سليمان، هاشم، الأتاس، أنور، بوساري، سليمان. (٢٠٢٤). دراسة الفكر الإصلاحي للطاهر بن عاشور. *مجلة القانون والشريعة الماليزية*, ١٢,(٢), ٢٧٢–٢٨١. https://doi.org/10.33102/mjsl.vol12no2.467

شروند، مهدي، وراضي، سعيد. (٢٠٢١). أخلاقيات الحيوان وفلسفة وجوده: نظرة نظرية إلى "المعتقدات المشتركة". *الجامعة: مجلة الدراسات الإسلامية*, ٥٩,(٢), ٤٢٣–٤٤٨. https://doi.org/10.14421/ajis.2021.592.423-448

طه، مهدي. (٢٠٢٠). أعمال الكافجي ومساهماته في علم اللغة العربي: توثيق وتصنيف وتقييم. *مجلة جمهوريت اللاهوتية*, ٢٤(٣), ١٠٨١–١١١١ https://doi.org/10.18505/cuid.703882 .

طرونه، عبد الله. (٢٠٢٥). لمحات في عدم قابلية القرآن للترجمة: مشكلات التواصل والحلول. *كوجنت للفنون والعلوم الإنسانية*, ١٢(١) https://doi.org/10.1080/23311983.2025.2471681 .

علاق، إبراهيم. (٢٠٢٣). التأويل الإنساني الإسلامي: التعريف والخصائص والصلة. *الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية*, ٣٤,(٤), ٣١٣–٣٣٦. https://doi.org/10.1080/09596410.2023.2282842

علوش، زين العابدين، وسليحين، س. م. (٢٠٢٢). التفسير السياسي للقرآن الكريم: رؤية عقلانية نقدية. *الجامعة: مجلة الدراسات الإسلامية*, ٦٠(١), ٢٨٧–٣١٤. https://doi.org/10.14421/ajis.2022.601.287-314

علوش، زين العابدين. (٢٠٢٣). فتح الرحيم الرحمن في تفسير آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾. *مجلة جمهوريت اللاهوتية*, ٢٧(٢), ٦١٩–٦٣٩. https://doi.org/10.18505/cuid.1321973

عثمان، خديجة. (٢٠٢٣). النهج العثماني في تصنيف العلوم التفسيرية: دراسة تحليلية في مفاتيح السعادة لأحمد أفندي التاشكوبري زاده. *مجلة دراسات علوم القرآن والحديث*, ٢٤(٢), ٣٣٧–٣٥٨. https://doi.org/10.14421/qh.v24i2.4521

فاضل أوغلو، شعبان. (٢٠٢٠). رسالة محمد قرومي في المجاز والكناية. *مجلة البحوث الإسلامية*, ١٠(١), ١٢٥–١٤٥. https://doi.org/10.26650/iuitd.2020.675989

فكرية، أ.، وفوائد، أ. (٢٠٢٢). إنقاذ الأرواح وتقييد وسائل وأساليب الحرب: خمس رؤى تفسيرية إندونيسية. *الجامعة: مجلة الدراسات الإسلامية*, ٦٠(١), ١٦٧–١٩٨. https://doi.org/10.14421/ajis.2022.601.167-198

كهرمان، فخر الدين. (٢٠٢٠). تحوّل الإنسان للطبيعة والمكانة الفريدة للأنبياء في الثقافة. *مجلة جمهوريت اللاهوتية*, ٢٤(٣), ١٢٤١–١٢٦٢. https://doi.org/10.18505/cuid.763115

كوكسندا، كريستينا. (٢٠٢٢). القراءات الشيعية للتطور البشري: من الطباطبائي إلى حيدري. *زيغون: مجلة الدين والعلم*, ٥٧(٢). https://doi.org/10.1111/zygo.12781

كونكوغلو، غ. (٢٠٢٢). الترجمات التفسيرية في العهد العثماني المتأخر: دراسة في تفسير المواكب. *مجلة جمهوريت اللاهوتية*, ٢٦(٢), ٩١٧–٩٣٥. https://doi.org/10.18505/cuid.1162560

كيايا، مصطفى. (٢٠٢٠). التعليم التفسيري والدراسات في عهد المماليك: تقييم تاريخي. *مجلة جمهوريت اللاهوتية*, ٢٤(٣), ٩٩٣–١٠١٥. https://doi.org/10.18505/cuid.688338

مبونغ، أ. هـ.، عبد الرحمن، أ. هـ. أ.، قادر، ف. ك. أ.، سلامون، هـ.، خير الدين، و. م. ك. ف. و.، شهراني، س. س.، كريم، م. ر. أ. (٢٠٢٢). تصميم البحث استنادًا إلى إطار التفسير الفقهي. *المجلة الأكاديمية للدراسات المتداخلة*, ١١(٢), ٣٩١. https://doi.org/10.36941/ajis-2022-0060

محمود، إقبال، وآخرون. (٢٠٢٣). تفسير طنطاوي جوهري لحركة الكواكب وآثارها الفقهية على تحديد الأشهر الهجرية. *مجلة الميزان العلمية*, ١١(٢), ٢٤٤ . https://doi.org/10.29300/mzn.v11i2.5344

محمد، نظير، ورحمن، م. أ. (٢٠٢٣). تجديد الإسلام: تحليل مضمون لتفسير محمد رشيد رضا. *مجلة الفكر الإسلامي والحضارة*, ١٣(٢), ١٠٤—١١٩ https://doi.org/10.32350/jitc.132.07 .

مظفر، أ. (٢٠٢٠). الإرث النظري لأبي الحسن الماوردي. *نشرة جامعة سانت بطرسبرغ: الفلسفة ودراسات النزاع*, ٣٦(٣), ٥٧٢—٥٨١ https://doi.org/10.21638/spbu17.2020.313 .

نور، أمينة ودود. (٢٠٢١). تأملات في التفسير النسوي الإسلامي للقرآن. *الأديان*, ١٢(٧), ٤٩٧ . https://doi.org/10.3390/rel12070497

يُوجِل، س. (٢٠٢١). إعادة قراءة القرآن في ضوء رسائل النور لبديع الزمان النورسي: التفسير الشهودي . *الأديان*, ١٢(١٢), ١٠٨٨ https://doi.org/10.3390/rel12121088 .